

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد :

ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة هجرية ، يتداعى الكثيرون من أبناء الإسلام في مختلف الأقطار الإسلامية للاحتفال بمناسبة (المولد النبوي) ، ويُقدّر عدد المرتادين لهذا المولد بالملايين المملينة في بعض البلاد الإسلامية [1] .

و تعدّد مظاهر هذا الاحتفال [2] ، ويأخذ ألواناً متنوعة من الابتهاج ؛ حيث تُزيّن المساجد ، وتُنشد فيها القصائد الخاصة بالمولد ؛ كما في (قصيدة البردة) ، وتُنصب الخيام الكبيرة ، وتُغنى فيها المدائح النبوية ، وغالباً ما يُصاحب ذلك اختلاط بين الجنسين ، ونوع من التمايل والتراقص ، وتؤكل خلال ذلك الحلوى المصنوعة خصيصاً لهذا المولد ؛ كما تُرفع الأعلام ، وتُحمل الرايات المخصصة لهذه المناسبة . وهكذا تجري أحداث المولد النبوي ، وتتقضي ساعاته في جوٍّ ، يطغى عليه المرح والضجيج ، وإن لنا -بعد ذلك كله- أن نقول لأولئك المشاركين في (المولد النبوي) - ونحن لهم ناصحون مشفقون- : على رسلكم أيها المحفلون! فما هكذا يكون فرحكم بمولده صلى الله عليه وسلم!! وما هكذا يكون تعبيركم عن محبته صلى الله عليه وسلم!! ، وإن الواجب عليكم أن تقوموا بعملية مراجعة دقيقة لما تقومون به من أعمال ؛ استناداً على أدوات التمحيص والتحقيق الماثلة في أصول منهاج النبوة ، وقواعده التي بها يعرف الحق من الباطل، والهدى من الضلال ؛ كما قال تعالى : { ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [الأحقاف : 4] .

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :

((وَقَدْ طَالَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ اتَّخَذَ دِينًا بِقَوْلِهِ { ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ } . فَالْكِتَابُ : الْكِتَابُ ، وَالْأَثَارَةُ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ مِّن السَّلَفِ : هِيَ الرِّوَايَةُ وَالْإِسْنَادُ ، وَقَالُوا : هِيَ الْخَطُّ أَيْضًا ؛ إِذِ الرِّوَايَةُ وَالْإِسْنَادُ يُكْتَبُ بِالْخَطِّ وَذَلِكَ لِلأَثَارَةِ مِنَ اللَّاتَرِ ، فَالْعِلْمُ الَّذِي يَقُولُهُ مَنْ يَقْبَلُ قَوْلَهُ يُؤْتَرُ بِالْإِسْنَادِ ، وَيَقْبَدُ بِالْخَطِّ فَيَكُونُ كُلُّ ذَلِكَ مِّنْ أَثَارِهِ)) [3] .

وتبقى التساؤلات الملحة :

- من هو أول من احتفل بـ (المولد النبوي) في تاريخ الإسلام ؟
- هل احتفل سلف الأمة الكرام من القرون الفاضلة -رضي الله عنهم- بـ (المولد النبوي) ؟
- هل اتفق المؤرخون على تأريخ معين لمولد النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟
- ما حكم الشريعة في الاحتفال بـ (المولد النبوي) ؟

أقول وبالله التوفيق ؛ إجابة لهذه التساؤلات الملحة ؛ انطلاقاً من البراهين العلمية؛ داعياً إلى التأمل فيها بكل إنصاف وموضوعية :

إن أول من احتفل بـ (المولد النبوي) في تاريخ الإسلام ، هم (بنو عبيد القداح) [4] :

خلفاء الدولة الفاطمية ؛ كما أبان عن هذه الحقيقة التاريخية العلامة (المقرئ) -رحمه الله- إذ يقول تحت عنوان: (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم) :

((كَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ فِي طُولِ السَّنَةِ أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمٌ ، وَهِيَ : مَوْسَمُ رَأْسِ السَّنَةِ ، وَمَوْسَمُ أَوَّلِ الْعَامِ ، وَيَوْمُ عَاشُورَاءَ ، وَمَوْلِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)) [5] .

فمن هم هؤلاء (بنو عبيد القداح) ؟

يَقُولُ عَنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

((كَانُوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ رَافِضَةٌ وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ : إِسْمَاعِيلِيَّةٌ وَنَصِيرِيَّةٌ وَقَرَامِطَةٌ بَاطِنِيَّةٌ كَمَا قَالَ فِيهِمُ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ : ظَاهِرٌ مَذْهَبُهُمُ الرِّفْضُ وَبَاطِنُهُ الْكُفْرُ الْمَحْضُ ، وَاتَّفَقَ طَوَائِفُ الْمُسْلِمِينَ : عُلَمَاؤُهُمْ وَمُلُوكُهُمْ وَعَامَتُهُمْ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ : عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ كَانَ جَائِزًا ؛ بَلْ نَصَّوْا عَلَى أَنَّ نَسَبَهُمْ كَانَ بَاطِلًا ، وَأَنَّ جَدَّهُمْ كَانَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ لَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْقُدُورِيِّ إِمَامِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدِ الْإِسْفَرَايِينِيِّ إِمَامِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَمِثْلِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى إِمَامِ الْحَنَابِلِيَّةِ ، وَمِثْلِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إِمَامِ الْمَالِكِيَّةِ .

وَصَنَّفَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الطَّيِّبِ فِيهِمْ كِتَابًا فِي كَشْفِ أَسْرَارِهِمْ ، وَسَمَّاهُ " كَشْفُ الْأَسْرَارِ وَهَتْكَ الْأَسْتَارِ " فِي مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَالَّذِينَ يُوجَدُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ وَالذُّرِّيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَعَانُوا التَّنَارَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ وَزِيرُهُمْ هَوْلَاكُو " النَّصِيرِ الطُّوسِيِّ مِنْ أُنْمَتِهِمْ ، وَهُؤُلَاءِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَمُلُوكِهِمْ)) [6] .

أَفْبَعَدَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْعِلْمِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ الْقُطْعِيَّةُ ، يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْتَفِلَ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ، أَوْ يَبْتَهِجَ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ صَنِيعِ أُولَئِكَ الْمَلَاحِدَةِ الزَّنَادِقَةِ !!!؟

أَمَّا سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْكَرَامِ مِنَ الْقُرُونِ الْفَاضِلَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَاطِبَةً اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَمْ يَحْتَفِلْ بِهَذَا الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أُحْدِثَ بَعْدَهُمْ ؛ كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ [7] ، وَ الْإِمَامُ الْفَاكِهَانِيُّ [8] ، وَالْعَلَامَةُ ابْنُ الْحَاجِّ [9] - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - .

وَمِنْ الْحَقَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ الثَّابِتَةِ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ شَهْرِ مُعِينٍ ، أَوْ يَوْمٍ مُعِينٍ لِمَوْلِدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ فِي رَمَضَانَ ، وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُ وُلِدَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

أَمَّا يَوْمُ مَوْلَدِهِ ؛ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ : فَقِيلَ : لِلْيَلْتَنِ خَلَّتْ مِنْهُ ، وَقِيلَ : لِعِشْرِ خَلُونَ مِنْهُ ، وَقِيلَ : لِثَمَانٍ خَلُونَ مِنْهُ ، وَقِيلَ : لِاثْنَتَيْ عَشْرَةٍ خَلَّتْ مِنْهُ ، وَقِيلَ : لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْهُ [10] .

عِلَاوَةً عَلَى أَنَّ الشَّهْرَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الشَّهْرُ ذَاهُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ ؛ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُحَقِّقِينَ [11] .

فَهَلْ يُعْقَلُ - بَعْدَئِذٍ - أَنْ يَحْتَفِلَ مُسْلِمٌ يُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا بِيَوْمٍ مَشْكُوكٍ فِيهِ ؟! أَوْ يَفْرَحَ بِيَوْمٍ مَاتَ فِيهِ ؟!؟

وَبَعْدَ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الْقُطْعِيَّةِ ، نَصُلُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - إِلَى النَتِيجَةِ الْحَاسِمَةِ فِي حُكْمِ الْإِحْتِفَالِ بِ(الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ) - بَلَا تَلَجُلُجْ وَلَا مَوَارِيَةِ - ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِحْتِفَالُ بِ(الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ) ، وَذَلِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ :

أَوَّلَاهُمَا : مِنْ جِهَةٍ أَصْلُ الْإِحْتِفَالِ ؛ وَالْأُخْرَى : مِنْ جِهَةِ مَالَاتِهِ وَمَا يَجْرُهُ مِنْ مَفَاسِدَ عَظِيمَةٍ .

أَمَّا مِنْ جِهَةِ أَصْلِهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْبِدْعِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ ، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ ، وَأَكْمَلُ حُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُتَابَعَةٍ لَشَرْعِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ [21] .

وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنْ إِحْدَاثِ الْبِدْعِ وَالْعَمَلِ بِهَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)) [31] ، أَيْ : مُرَدُّودٌ عَلَيْهِ [41] ، وَقَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بَسْتِي وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ)) [15] .

كَذَلِكَ فَإِنَّ إِحْدَاثَ مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَالِدِ الْبِدْعِيَّةِ فِيهِ مَزَلَقٌ فِي غَايَةِ الْخَطُورَةِ ، وَهُوَ مِثَالٌ فِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُبَلِّغْ مَا يَنْبَغِي لِلْأُمَّةِ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ ؛ وَ مِنْ ثَمَّ - وَحَاشَا مِنْ ذَلِكَ - يَكُونُ كَاتِمًا لِأَمَانَةِ الْبَلَاغِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَدَائِهَا ، وَفِي هَذَا مِنَ الْمُضَادَّةِ الْقُطْعِيَّةِ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3] ، وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: 67]

وليس ثَمَّتَ مجالٌ للشك في أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغَ البلاغَ المبينَ ، كما ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ ، عن عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضيَ الله عنهما ، قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)) [16] .

أما من جهةِ مآلاتِهِ ؛ فَإِنَّهُ ؛ كما يحكي الواقعُ المشاهدُ ، يَجُرُّ إلى مفسادٍ عظيمةٍ ؛ لعلَّ أبرزها ما يلي :

1- المفسادُ الاعتقاديُّ ؛ وَ هَذَا قائمٌ في ذَلِكَ الغُلُوِّ الشَّيْعِ الَّذِي يُخْرِجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من مقامِ البشريةِ إلى مقامِ الألوهيةِ ، و يُصِيرُهُ- عياداً بالله- ربّاً يَتَوَجَّهُ إليه النَّاسُ في دُعَائِهِمْ ، وَاسْتِغَاثَتِهِمْ ، وَطَلِبِهِم للمددِ ، واعتقادِ أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ ، ونحوِ ذَلِكَ مِنَ الأمورِ الكُفْرِيَةِ الَّتِي يَتَعَاطَاها الكثيرُ مِنَ النَّاسِ حِينَ احتفالهم بِمولدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم [71] ، وَالَّتِي مَا بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا لإِبْطَالِهَا والقضاءِ عَلَيْهَا .

2- المفسادُ السلوكيُّ و الأخلاقيُّ ؛ كاختلاطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، واستعمالِ الأغاني والمعازفِ ، وشُرْبِ المسكراتِ والمخدِّراتِ ، وإضاعةِ الأموالِ الطَّائِلَةِ ، وَقَدْ يَقَعُ فِيهِ ما هو أعظمُ من ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَهُوَ ما تَرَاهُ ماثلاً في تَعْطِيلِ الصَّلَاةِ الَّتِي هي أكبرُ شَعِيرَةٍ في الإسلامِ [81] . وَاللهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوقِفَنَا وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ لِلْفَقْهِ فِي دِينِهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى الْجَمِيعِ بِلزومِ السُّنَّةِ ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْبِدْعِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

(1)- انظر : كتاب المنتدى "دعوة على التوحيد" : (ص/84) .

(2)- انظر : كتاب المنتدى "دعوة على التوحيد" : (ص/84-25) ، و" تاريخ الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ومظاهره حول العالم " لمحمد خالد ثابت ، والكتاب عليه ملحوظاتٌ منهجيةٌ وعقديةٌ خطيرةٌ ؛ فليتنبه لهذا !

(3)- "مجموع الفتاوى" : (3/316) ، و"درء التعارض" : (1/32) .

(4)- انظر : "القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل" : (ص/26-07 و88) للشيخ إسماعيل الأنصاري ؛ فقد أجاد وأفاد في بيان أسماء أهل العلم الذين أكدوا هذه الحقيقة .

"(5) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" : (1/490) للمقرئ .

(6)- "مجموع الفتاوى" : (28/635-636) .

(7)- انظر : "اقتضاء الصراط المستقيم" : (ص/592) ، و"الفتاوى الحموية" : (1/312) .

(8)- انظر : "الحاوي في الفتاوى" : (1/190-192) للعلامة السيوطي .

(9)- انظر : "المدخل" : (2/11-12) لابن الحاج .

(01)- انظر : "البداية والنهاية" : (2/260-261) ، و"المواهب اللدنية" : (1/131-132) للعلامة القسطلاني ، و"القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل" : (ص/06-26) .

(11)- انظر : "القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل" : (ص/26) .

(12)- انظر : "حكم الاحتفال بالمولد النبوي" للشيخ ابن باز .

(31)- أخرجه البخاري في "صحيحه" : (959/2 ، رقم 0552) ، و مسلم في "صحيحه" : (231/5 ح/9854) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(41) - انظر: "فتح الباري": (20/411) .

(51) - إسناده صحيح. أخرجه الترمذي في: "سننه": (5/44) ، رقم (6762) .

(61) - أخرجه مسلم في: "صحيحه": (81/6) (2884) .

(17) - انظر: "حكم الاحتفال بالمولد النبوي" للشيخ ابن باز .

(81) - انظر: "أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام": (ص/45) للشيخ محمد بخيت المطيعي ، و"تفسير المنار":

(9/96) للشيخ محمد رشيد رضا ، و"الإبداع في مضار الابتداع": (ص/621-821) للشيخ علي محفوظ ، و"حكم الاحتفال بالمولد النبوي" للشيخ ابن باز .

كاتب المقالة : أ. النميري بن محمد الصَّبَّار

تاريخ النشر : 10/01/2013

من موقع : قناة نور الحكمة الإلكترونية - صوت علماء الأزهر الشريف بفاقوس

رابط الموقع : WWW.norelhekma.com